القسم الأول

obeikandl.com

الباب الأول

فى تاريخ فلسطين من بدئهِ
حتى الفتح العربى الإسلامى

الفصل الأول

فى تاريخها قبل الفتح اليهودى

١-حدود فلسطين التاريخية والسياسية

ورد فى التوراة عبارة تدل عَلَى حدى فلسطين الشمالى والجنوبى وتثبت أنها كانت «من دان إلى بئر سبع». ودان اسم لأحد أسباط اليهود أو إحدى قبائلهم التى سكنت عند تل القاضى الذى ينبع نهر الأردن قريبًا منه. وبئر السبع مدينة واقعة جنوبى فلسطين. أما حد فلسطين الغربى فهو البحر المتوسط الذى لا يتغير. وأما الحد الشرقى فمختلف فيه والحقيقة أنهُ كان يتقلص أحياناً إلى نهر الأردن وأحيانًا يمتد حتى الصحراء والخط الحجازى وذلك بحسب الظروف وتقلبات السياسة.

حدودها السياسية الحالية

لم تتم الآن المفاوضات بين انكلترا وفرنسا لوضع الحدين الشمالى والشرقى بين سوريا وفلسطين غير أنهُ يمكننا أن نعتبر خطًا من رأس الناقورة (وهى نقطة على البحر شمالى عكا يطلب فيها جوازات السفر) إلى شمالى صفد فنجعله حدًا شماليًا. والبادية حدًا شرقيًا كما ورد فى صك الانتداب والبحر المتوسط حدًا غربيًا. وشمالى الحفير ورفح حدًا جنوبيًا.

٢ - مساحتها

لا يمكن أن نبت القول فى تقدير مساحة فلسطين لأن حدودها الشمالية والشرقية لم تعين حتى الآن ولو أنا ذرعناها من الشمال إلى الجنوب لكانت ٢٤٠ كيلو متر تقريبًا. أى أنا إذا سرنا كل يوم ثمانى ساعات وقطعنا فى كل ساعة منها خمسة كيلو مترات نجتازها من الشمال إلى الجنوب فى ستة أيام. عَلَى أن القطار يستطيع أن يطويها فيما بين ٧ أو ٨ ساعات ويتراوح عرض فلسطين ما بين ١١٠ كيلومترات إلى ١٦٠ فهو على ذلك نصف طولها تقريبًا أما مساحتها فتساوى ثلث مساحة سوريا الممتدة من جبال طورس حتى رفح ومن البادية إلى البحر المتوسط.

٣ - أسماؤها

كانت فلسطين ولا تزال جزءًا من سوريا لا يفصلها عنها حد طبيعى ولا يبعدها عامل جنسى أو تاريخى لذلك لم يفرد لها المؤرخون اسمًا مستقلاً بل كانوا ينسبونها إلى الشعوب والقبائل التى سكنتها وأهم أسمائها التاريخية هى:

(أ) أرض كنعان: وهذا أول اسم سميت بهِ نسبة إلى الكنعانيين الذين هم أسرة سامية. وكانت فى عصرهم تشمل جزءًا كبيرًا من سوريا حتى حمص وحماه.

(ب) فلسطين: أطلقت اليونان والرومان هذا الاسم عليها نسبة إلى سكانها الفلسطينيين الأقدمين الذين لم يتوطنوا إلا الساحل ما بين يافا وغزة وكانت «فلسطيا» لا تشمل سوى هذه البقعة الضيقة فقط ولبقاعها الأخرى أسماء خاصة بها. فيظهر من ذلك أن تسمية جميع البلاد بفلسطين هو من باب تسمية الكل باسم الجزء.

(جـ) أرض الميعاد: سماها اليهود أرض الميعاد زعمًا منهم أن الله وعدهم بها فى أيام إبراهيم وفيما بعد ذلك أيضًا. وقد امتازت — افترقت — علماءُ التوراة فى

ذلك فرقتين: فرقة تقول إن النبوات تمت وانقضى زمنها. وفرقة تقول إن الله سيعطى البلاد لليهود بعد أن يتنصروا.

(د) الأرض المقدسة: يسميها مسيحيو الغرب بهذا الاسم لتقدسها بمن ولد فيها وزارها من الأنبياء والرسل والمصلحين. وكذلك دعا المسلمون «ايليا» القدس وبيت المقدس لأنها مهد الأنبياء ولأن النبى أسرى به إليها ليلاً.

٤- تأثير موقعها الجغرافى على تاريخها

إن عِلْمَىْ التاريخ والجغرافيا صنوان متلازمان وتوأمان لا يستغنى أحدهما عن الآخر. ومن تغلغل فى البحث وتأمل فى تأثير المناخ عَلَى طبائع السكان أمكنه استنتاج فوائد جمة ومنافع ذات قيمة واتضح له أن سكان المناطق الحارة كالسودان وغيرهم يغلب عليهم الخمول والجمود فيظلون سحابة نهارهم نائمين فى ظل نخيلهم وأجواف كهوفهم خلافاً لسكان المناطق الباردة الذين يقضون أوقاتهم فى الجد يخوضون غمار العمل بنشاط لا مثيل له بين أبناء المناطق الحارة. وكما أن للمناخ تأثيرًا على طبائع السكان كذلك للموقع الطبيعى علاقة كبرى فى تاريخ الأمم والأفراد وتطورهم. فمصر لولا النيل لكانت صحراء مجدبة ولما أشرقت عليها شمس هذه المدنية الزاهرة. وتجارة نيويورك العظيمة لم تتسع ويحكم بناؤُها إلا على أساس موقعها الجغرافى. ولولا ما لموقع القسطنطينية من علو الشأن لما طمعت فيها الدول وتاقت إليها نفوس الفاتحين. ولقد كان موقع انكلترا فى جزيرة من أكبر العوامل التى جعلتها تعتنى بشأن بحريتها حتى أصبحت ذات أسطول ضخم ملكت بهِ البحار وكانت به الدولة البحرية.

وهكذا فلسطين فإننا لا نفهم تاريخها جيدًا إلا بعد أن نعرف موقعها الجغرافى وحالتها الطبيعية ولذلك نقول: فلسطين إقليم صغير واقع فى المنطقة المعتدلة الشمالية بين بحرين كبيرين الأول الرملى فى شرقها والثانى المائى فى غربها. بل هى جسر بين آسيا وأفريقيا وأوروبا وطريق عمومى لسكان وادى النيل ودجلة – مهدى مدنية العالم القديم - بل خط اتصال بينهما ولذلك كان كلاهما

ينزع لإخضاعها كي يجهز على خصمه ويأمن من شره وغاراته. هي محطة بين الشرق والغرب تتنازع عليها الأمم القديمة والحديثة كي تسيطر عَلَى طرق التجارة. كانت ولا تزال ساحة حرب وميدان قتال للدول القديمة والحكومات الحديثة. فكم من قائد ظفر في سهولها وآخر سقط جيشه أسيرًا وخر قتيلاً أو هزيمًا. فكأنها ساحة أعدت لمبارزة القواد والعظماء أمثال: نبوخذ نصر وصحوتميس[1] (طتميس) والاسكندر وبومبي ويوليوس وأوغسطس وتيطس وكسرى وأبو عبيدة وصلاح الدين وقلب الأسد والسلطان سليم الأول وبونابارت وإبراهيم باشا وليمان فون ساندرس باشا واللنبي نسل إليها الجنود من آسيا وأفريقيا وأوربا وأميركا واستراليا وزيلاندا الجديدة فكانت مسرحًا يمثل فيه أجناس البشر بلباسهم الوطني رواية عالمية. فالفلسطيني الذي لم يخرج من بلاده شاهد سكان الكرة الأرضية من غير أن يركب لذلك الأهوال أو يتحمل المشاق والمصاعب كأنهُ طاف الأقطار.

تعاقب في توطن فلسطين والحكم عليها جميع أجناس البشر من سامي ومغول وارياني ولم تقطنها أُمة واحدة بل كانت في سائر أدوارها إما مندمجة في سوريا أو ملحقة بمصر. ولئن استحال عليها في الماضي أن تكون بلادًا مستقلة لموقعها الجغرافي وصغر مساحتها وتخالف سكانها. فستكون في مقبل الأيام كذلك إما متصلة بمصر أو مرتبطة بالعراق. والماضي مرآة الآتي وهو أشبهُ به من الماء بالماء.

٥ – سكانها

إن جميع التواريخ القديمة مظلمة فلا يعول عليها ما لم يؤيدها العقل والعلم والحفريات والآثار وأقدم تاريخ لفلسطين يبتدئ من ٣٥٠٠ ق.م. بشهادة الحفريات المكتشفة أخيرًا في جازر «أبو شوشة» وهي قرية قرب

---

(١) هذا على حسب اللفظ السامي القديم. وأما الشكل «طوتميس» فهو مأخوذ عن التجريف الأفرنجي.

الرملة وقد قام بهذه الحفريات بين سنة ١٩٠٢م و ١٩٠٥م جمعية إنكليزية The Palestine Exploration Fund يرأسها الأستاذ مكالستر MacAlister وذكر هذا الأستاذ أنهُ قد سكن فلسطين قديمًا أقوام غير ساميين وبرهن على ذلك بما نطقت بهِ الآثار وشهدت له الرسوم والأحجار.

وتلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

وهذا ما استنتج من الآثار المذكورة:

١ – كان سكان جازر (أبو شوشة) قصار القامة يتراوح طولهم ما بين ٥ أقدام و ٤ بوصات و ٥ أقدام و ٧ بوصات.

٢ – كانوا من أبناء العصر الحجرى فزاولوا زراعتهم وجميع أعمالهم وحربهم بأدوات صوانية كالفأس والمنجل والحراب.

٣ – دجنوا الحيوانات الأهلية كالبقر والماعز والخراف والخنزير وربوا هذه الحيوانات فى مغاورهم.

٤ – كانوا يقطنون الكهوف التى لا تزال موجودة حتى الآن ولكن بعد ألف سنة من ذلك العهد أى سنة ٢٥٠٠ ق.م تدفق على فلسطين سيل عرم من سكان العراق وأواسط جزيرة العرب فنزلوا بها وعمروها وشادوا فيها المدن وهانحن أولاء نقص نبأً أهم الشعوب التى سكنت فلسطين.

(أ) الكنعانيون

هم قبيلة سامية نزحت من جزيرة العرب واوت فلسطين وكانت لغتهم القومية اللغة العبرانية التى اقتبستها أمة اليهود منهم بعد أن تركت لغتها. وكانت مساكن الكنعانيين الأولى فى منخفضات الأرض ولذلك سموا كنعانيين لأن معنى «كنعان» فى لغتهم الأرض المنخفضة. وكانت بلادهم واسعة الأطراف يحدها شمالاً مدخل حماه شمالى لبنان وشرقًا بادية الشام وجنوبًا بادية العرب وغربًا البحر المتوسط عكفوا عَلَى الزراعة والتجارة زمنًا طويلاً حتى أتت إليهم اليهود فحاربتهم وتغلبت عليهم واحتلت مدنهم المسورة ولأن ديانتهم كانت وثنية

حرمت اليهود التزوج منهم والامتزاج بـهم. وكثيرًا ما ورد ذكر الكنعانيين فى التوراة. قال فى سفر التكوين ص ٣ : ١٧ إن الكنعانيين سكنوا فى البلاد وإن إبراهيم سكن معهم. وقد ورد أيضًا فى التوراة ذكر حروبهم مع اليهود فى أريحا وجبعون وبيت آيل ولكن اليهود لم تستأصلهم فمنهم من ذهب إلى الشمال ومنهم من بقى فى البلاد فسيطت - مزجت – دماؤهم فى عروق السكان وتمثلوا فى سواهم من الأمم الأخرى.

وقد وجد فى الكرنك أسماء ١١٩ مدينة من المدن الكنعانية التى احتلها صحوتميس فرعون مصر حين غزا البلاد وانتصر عَلَى أعدائهِ ومن هذه المدن صور ويافا وعكا.

(ب) الحثيون

قبيلة انفصلت من تركستان نحو سنة ١٧٠٠ ق.م. وانهالت على فلسطين وهم فرع من شجرة مملكتهم المؤسسة فى شمالى سوريا وآسيا الصغرى. وكان عاصمة الحثيين «ختى» التى تسمى اليوم «بوغاز كوى» وحارب الحثيون فراعنة مصر ويؤيد هذا القول ما شوهد من النقوش والرسوم المحفورة على الأعمدة فى هيكل الكرنك فى مصر. وقد حاربهم رعمسيس ١٤ سنة فلم يتمكن من إخضاعهم ولذا اضطر إلى محالفتهم أما الملك ستى الثانى فإنه حاربهم وقهرهم.

والحثيون الذين سكنوا فلسطين هم بقايا أولئك الذين حاربوا المصريين فأتوا وسكنوا بين القدس والخليل. وامتد ظلهم زمنًا إلى بيت آيل ونابلس. وذكر أن إبراهيم اشترى مغارة المكفيلة (حرم الخليل وقبور الأنبياء) من الحثيين ودفن فيها زوجتهُ ساره وبعض بنيه وأحفاده. وأنهم أنجبوا بعضًا من العظماء مثل أوريا الحثى الذى كان ذا بأس فى جيش داود.

(جـ) اليبوسيون

جل ما نعرفهُ عنهم أنهم سكنوا القدس ولكن لم يعرف أصلهم حتى الآن. وقيل: إنهم بطن من الكنعانيين. وكانت القدس تدعى قديمًا يوس فلعلهم سموا اليبوسيين نسبة إليها. ولما جاء اليهود من التيه بقيادة يوشع بن نون واحتلوا

البلاد حاولوا استملاك القدس فعجزوا عنـها وظلـت فـى أيـدى اليبوسـيين إلى أن حاربهم دواد فحاصرهم وهدم أسوارها ودخلها عنوةً وجعلها عاصمة ملكه وضـرب عَلَى اليبوسيين الجزية حتى أيام سليمان. وقد ذكـر فـى التـوراة أن داود اشـترى بيدر أرونة اليبوسى (ساحة الحرم الآن) ليبنى هناك هيكلاً فلم يتوفق غير أن ابنهُ سليمان أنجز هذا العمل. ومن ملوكهم أدونى صادق وملكى صادق.

(د) الفينيقيون

هم فرع من الأقوام الذين سكنوا فلسطين وأبـوا الخضـوع لغـيرهم مـن الشـعوب القوية التى هاجمتهم فظلوا يقاومونهم. ولما عجزوا عن حماية بلادهم وعـز عليـهم الاستسلام والطاعة لأعدائهم انسحبوا إلى الشمال وكانوا يترقبون الفرص لاسترجاع منطقتهم واستخلاصها فكانوا فى ذلك مع العبرانيين كالأسبانيول مع العرب حين هاجمهم العرب فاعتصموا بالجبال وظلوا ينتهزون الفرص حتى سـنحت فـانقضوا على أخصامهم واستعادوا ملكـهم غـير أن الفينيقيـين لم يفـوزوا كالأسـبانيول فـى نهاية أمرهم. أما الفينيقيون فإنهم وإن لم يسـكنوا فلسـطين فقد كـانوا مـن بقايـا أهلها وتاخموا حدودها وأثـروا عَلَى تاريخـها. وقـد ظـهر فـى نقوشـهم المكتشـفة حديثًا أنهم كنعانيون لذلك حق لنـا البحـث عنـهم لمـا لهـم مـن الشـهرة الفائقـة والذكرى الحميدة فى العصور الأولى ولأنهم كانوا شعبة من الأمـة السـامية ولغتـهم شقيقة لغتنا بشهادة نقوشهم وحروف هجائهم. ولا ريب أنهم كانوا أعظم وأشـهر الأمم القديمة التى سكنت سـوريا وفلسـطين مـع أنـهم اكتفـوا بالسـاحل مـا بـين طرابلس الشام وحيفا. ومن أهم مدنهم صور وصيداء وبيروت وطرابلـس. وقـد كـان الفينيقيون وملكهم حيرام حلفاء سـليمان فعـاونوه علـى بنـاء الهيكـل ونقلـوا إليـه الخشب من حراج لبنان عن طريق البحر إلى يافا. وكان لهم مهارة فائقة فى البناء «المعمار» والصناعة التى كانت مفقودة عند اليـهود وتـزوج آخـاب ملـك إسـرائيل ايزابل الفينيقية رغم نواهى دينه وإرادة شعبهِ إذ كان محرمًـا عليـهم أن يخـالطوا سـواهم لأنـهم شـعب الله الخـاص علـى زعمـهم وهـذا لعمـرى منتـهى التعصـب الجنسى. فرغبة الملوك فى محالفتهم ومصاهرتهم دليل بين على عظمتهم وارتفـاع

شأنهم. ولقد ورد ذكرهم فى إنجيل مرقس عند قوله إن امرأة فينيقية طلبت من المسيح أن يشفى ابنتها.

تجارتهم: كانت بلاد فينيقية حلقة اتصال بين قوافل العراق والشام ومصر ولذلك كان أهلها دعاة المدنية المصرية والسبب الأقوى فى نشرها ونقلها إلى جميع الأقطار التى ذهبوا إليها. ولأن بلادهم كانت ضيقة يكتنفها البحر من الغرب والجبال من الشرق لذلك اضطروا إلى مزاولة التجارة فخاضوا من أجلها لجج البحار واقتحموا الأهوال والأخطار وكان ذلك عليهم أمرًا هينًا لأنهم جاوروا البحر وعرفوه – وأجرأ الناس عَلَى الأسد أكثرهم رؤية له–وقد تدرجوا فى أسفارهم البحرية من جزيرة أرواد إلى قبرص ورودس ومصر والأرخبيل الرومى واليونان وشمال أفريقيا ومرسليا وأسبانيا وإنكلترا. وأسسوا مستعمرة عظيمة فى شمال أفريقيا (قرطجه) التى زاحمت رومية وهددت كيانها أما صناعتهم فكثيرة أهمها الزجاج الملون والأرجوان والنحاس. وأما خدمتهم للمدنية فمنها نشر الحروف الهجائية التى أعطوها لليونان فتداولوها بينهم ثم وزعوها عَلَى الأمم الأوروبية. ومنها اختراع المقاييس والعيارات للوزن. وكانت ديانتهم وثنية منحطة ومن آلهتهم «بعل» و «عشتاروث» و «مولوك» التى كانوا يذبحون لها أولادهم ويقدمونهم لها قرابين.

(هـ) الفلسطينيون

من الواجب علينا أن نعرف تاريخ الفلسطينيين أكثر من غيرهم لأنا ورثنا اسمهم وامتلكنا بلادهم ووطنهم فرأينا لذلك أن نسهب فى ذكر تاريخهم إسهابًا لا يمله القارئ ولا يشف كثيرًا عن جمود ذلك العصر المظلم فنقول:

ليس الفلسطينيون من أسرتنا السامية وإنما هم من الشعب الأريانى وعَلَى الغالب أنهم قدموا بلادنا من جزيرة كريت عن طريق آسيا الصغرى «الأناضول» أو عن طريق مصر عندما قاتلهم رعمسيس وقهرهم وأسكنهم الساحل ما بين يافا وغزة ولما عظم شأنهم حاربوا مدينة صور وهدموها ومن مدنهم العظيمة غزة

وأسدود وعسقلان وعقرون «عاقر» وجت. وكانوا وثنيين يعبدون الأصنام والتماثيل وكان عندهم صنمٌ يدعى داجون نصفه الأعلى شبه إنسان والأسفل كالسمكة وكان له هياكل كثيرة فى أسدود وغزة وعسقلان وبيت دجن التى سميت باسمه وهى بقرب يافا ولعل مجاورتهم البحر هى التى جعلتهم يرجحون عبادة الأسماك عَلَى سواها من معبودات الوثنيين.

دخلوا البلاد واستولوا عَلَى غربها وجنوبها بعد مجىء اليهود بستين سنة وقد تنازعت الأمتان البلاد واستمرت بينهما الحروب سنين عديدة وكانت اليهود تستطلع أخبار الفلسطينيين من جبل النبى صمويل الواقع [عَلَى بعد ٧ كيلومترات من شمال القدس الغربى] وترقب من السهل سائر أعمالهم ولم يقو فريق منهما على إخضاع الآخر فاستطال الخصام واستفحل الشر وغرست البغضاء فى النفوس وحقد الفلسطينيون على أعدائهم وحاربوهم فى عقر دارهم «مرج ابن عامر» وهزموهم هزيمة منكرة حتى إن شاول ملك اليهود من شدة غيظهِ قتل نفسه عَلَى جبل جلبوع شرقى مرج ابن عامر قرب جنين فأخذ الفلسطينيون جثتهُ وجثة ولده يوناثان وعلقوهما عَلَى أسوار «بيسان» فى الغور شرقى المرج.

ظهر من الفلسطينيين جبابرة منهم جليات «طالوت» الذى قتله البطل الفتىّ داود بحجر من مقلاعه قبل أن يكون ملكًا أو نبيًا. امتدت المشاحنات بين الأمتين وظهر شمشون أحد قضاة بنى إسرائيل فحاربهم وأزعجهم ولكنهم أخيرًا أسروه وقلعوا عينيه وحبسوه حتى مات فى غزة وقبره هناك معروف تحول إلى جامع شرقى المدينة ويقال له «أبو العزم شمشون الجبار».

امتزج الفلسطينيون بغيرهم فانقرضوا وتحولوا كما تحول سواهم من الأمم الغابرة إلى أجناس وعناصر أخرى أما اليهود فلكونهم عاشوا منفردين معتزلين الأمم الأخرى وحرموا التزاوج مع غيرهم وحافظوا على جنسيتهم الأصلية بحرصهم على قواعد الدين ظلوا إلى يومنا هذا منتشرين فى سائر أقطار الكرة الأرضية يحنون إلى فلسطين ويطلبون الرجوع إليها كما ورد فى شعر ابن اللاوى الأندلسى الذى كانت روحه تطير من الأندلس على أجنحة أشعاره وترفرف فوق صهيون

وفلسطين قبل ٨٠٠ سنة. ومن أعجب الحوادث التاريخية أنهم يطلبون الرجوع إليها والتوطن فيها بعد أن تركوها ١٩ قرنًا وما ندرى ماذا يكون جواب الأمم التى سكنت فلسطين قبل اليهود وبعدهم إذا استشرناهم فى أمرها وسألناهم عمن هو الأحق. والبحث عن الفلسطينيين بحث واسع ومن أراد التفصيل فى ذلك فليراجع كتابى الأستاذين جورج آدم سميث ومكالستر فإنهما قد وفيا هذا الموضوع حقه.

(و) القبائل الأخرى

١ – **الأدوميون**: أولاد عيسو بن إسحق وكانت منازلهم جنوب البحر الميت كانوا قبائل وفرقًا وقد حاول شاول أن يتغلب عليهم فى القرن العاشر ق.م. فلم يحل بطائل. ولما تولى داود أخضعهم واحتل بلادهم وجعل عليها حامية من جنده فهمَّ أحد قوادهم فى عصر سليمان أن يخلع الطاعة فلم يفلح وظلوا تحت سيطرة الإسرائيليين إلى أيام يهوشافاط فمالأوا أعداءه وأعانوهم علَى حربه ولما حمل نبوخذ نصر عَلَى أورشليم أعانوه عَلَى نهبها وذبح أهلها فكافأهم وأيد سلطتهم فى أدوم ووسع حدودها من تخوم مصر حتى البحر المتوسط فداهمهم الأنباط «العرب» وملكوا بلادهم وكان بذلك انقراض ملكهم ودولتهم. ومن مشاهيرهم هيرودس الأدومى حاكم فلسطين ومساعد الرومان فى تأييد نفوذهم أيام المسيح وقد لعب دورًا هامًا فى التاريخ كما سيأتى.

٢ – **المؤآبيون** : من أبناء لوط ومنازلهم بين نهر أرنون (الأزرق) وتبوك وعربات قبالة أريحا التى استولوا عليها فوضع سبط بنيامين الجزية عليهم مدة ١٨ سنة فى زمن ملكهم الذى قتله آهود.

٣ – **العمونيون** : من ذرية لوط نسل ابن أعمى ومساكنهم فى جهة السلط وعمان والزرقاء.

٤ – **العماليق** : كانت مواطنهم صحراء سينا بين المصريين والفلسطينيين والكنعانيين ومن ملوكهم كدرلعومر وهم القوم الجبارون الذى حاربوا بنى إسرائيل

وتغلبوا عَلَى جدعون وشاول حتى امتدت سلطتهم إلى جوار نايلس ولم يكن لهذه القبائل حكومات منظمة أو إدارات مرتبة بل كانوا أشبه شيء بقبائل جنوبى فلسطين وشرقى الأردن مثل الترابين والتياها والعزازمة والجبارات والعدوان وبنى صحر والحويطات وغيرهم. فكانت كل قبيلة تلتف حول شيخها وهو الحاكم والقاضى والقائد وقد عنوا بأمر الزراعة وتربية الماشية وشن الغارة والسلب والنهب ولم يكن لأحد سلطان عليهم ولا دين لهم يرجعون إليه، فالقوى يأكل الضعيف، ومن شعر بعجزه وآنس فى خصمه القوة اضطر أن يتخذ له حليفاً ليتقوى به شأن القبائل البدوية فى يومنا هذا.

٥ – **الأنباط** : وهم أمة عربية جرفت بقايا الأدوميين وأسست ملكاً فى وادى موسى وقد غزاهم انطيوخوس سنة ١٣٢ق.م فارتد مخذولاً ولما حاصرهم ديمتريوس أطلّ عليه أحدهم وخاطبهُ قائلاً: (لماذا تقاتلنا ونحن مقيمون فى بادية أتحاربوننا لفرارنا من الرق)؟ فانسحب ديمترويوس برجاله وشيدوا حكومة منتظمة بملوك ووزراء وضربوا النقود. من عظماء ملوكهم الحارث الثالث الذى تغلب عَلَى البقاع بسوريا وملك دمشق سنة ٨٥ ق.م وساعد هركانوس المكابى على أخيه ارستوبولس.

والحارث الرابع: وهو حمو هيرودس انتيباس الذى حاربهُ الحارث لتزوجه عَلَى ابنته وكانت ابنة الحارث تحب هيرودوس فتزوج عليها زوجة أخيه هيروديا ابنة استوبولس فشق ذلك عليها وذهبت إلى بيت أبيها الحارث وذكرت له الخبر فاستشاط غضبًا وحارب هيرودوس فانتصر عليه انتصارًا كبيرًا ولم ينج هيرودوس منهُ إلا بالفرار. وقد امتدت مملكة الأنباط حتى شملت من الغرب جزيرة سينا ومن الشرق حوران وحدود العراق وبلغت من الجنوب وادى القرى. وظلت بلادها مركزًا تجاريًا بين جميع الأقطار المعمورة وكانت وسائل النقل موفورة لديها كالسكك الحديدية الأوروبية والأميريكية فى القرن العشرين وأخيرًا

حمل عليهم الإمبراطور تراجـان فبـدد شملـهم وقضـى علـى مدنيتـهم سـنة ١٠٦م فاندمجوا فى غيرهم وأصبحوا أثرًا بعد عين. ومن أعظم مدنهم بطرا وبصرى واذرع وجرش والكرك والشوبك وايله والحجر وصلخد ومادبا ودمشق.

وعدد ملوكهم ١٨ منهم عبادة الأول، عبادة الثانى ومالك والملكة خلـد، الملكـة شقيلة، ريبال، الملكة جميلة. وهذا مما يثبت أنهُ كـان للمـرأة فـى العصـور الأولى مثلما كان للرجل من الحقوق والواجبات.

obeikandl.com